2 me Année, No 46. — Lundi-21-5-1934

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠ / ٤٠٥٣٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ مـ	فى مصر والسودان
٨٠	فى الاقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الاخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٤٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٨ صفر سنة ١٣٥٣ — ٢١ مايو سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

صفحة

٨٤١ مدينة سبأ : الدكتور طه حسين

٨٤٤ الرزلة الاولى : احمد حسن الزيات

٨٤٥ سبيل الخلاص من الامتيازات الاجنبية : الدكتور عبد الرزاق السنهوري

٨٤٧ لا غالب الا الله : الدكتور عبد الوهاب عزام

٨٤٩ الفاشست ومبادئها السياسية والاقتصادية : الاستاذ محمد عبد الله عنان

٨٥١ حل العقد بقطعها : ن ش

٨٥٣ مختار دائما : الاستاذ محمود خيرت

٨٥٥ استيلاء المغول على بغداد : عباس علوان الصالح

٨٥٨ بين المعرى وداتي : محمود الخفري

٨٦٠ أيها الشرق : محمود البكري القلوصناوي

٨٦١ بديع الزمان الهمذاني : الدكتور عبد الوهاب عزام

٨٦٠ هانيبال يرثي اخاه : (قصيدة) الاستاذ لطفي ابو السعود

٨٦٦ تذكار الشاعرة الكونتس دي نوالي : الاستاذ خليل مندلوي

٨٦٨ حول السلم الموسيقي : محمد مصطفى شريف

٨٦٩ الذوق في لاروشفوكو : الدكتور حسن صادق

٨٧١ العقل البشري : الدكتور عبد الفتاح سلامه

٨٧٥ مغامرات آخر بني سراج (قصة) الآنسة سهير القلماوي

٨٧٨ ديوان الاعقاب (كتاب) : الاستاذ مصطفى صادق الرافعي

مدينـــة سبأ

للدكتور طه حسين

كان الأديب الفرنسي ملرو نائماً كاليقظان ، أو يقظان كالنائم ، ولا تجد في ذلك شيئاً من الغرابة ، فنوم الأدباء البارعين يقظة ، لأنه مملوء بالأحلام التي قد تكون من الصدق والدقة ، ومن الخصب والانتاج بمنزلة لا يبلغها الحق نفسه في كثير من الأحيان . ويقظة الأدباء نوم ، لأنهم يشغلون فيها عما يحيط بهم من هذه الحقائق الممكنة الواقعة بما يملأ رؤوسهم من هذه الخيالات والأوهام التي تدنو من نفوسهم حتى تصبح كأنها جزء منها ، وتبعد عن متناولهم حتى تصبح كأنها النجوم . وهم يعجبون بها منهم فيطمعون فيها ويطمحون اليها ، وهم يشفقون من بعدها عنهم فيلجون في طلبها ويجدون في ادراكها ، ويتكلفون في بلوغها أعنف الجهد وأشق العناء .

كان الأديب الفرنسي ملرو إذن نائماً كاليقظان ، أو يقظان كالنائم . كان في ساعة من هذه الساعات الحلوة التي يقضيها الأدباء مستمتعين لونين من الحياة ، أحدهما مختلط مضطرب شاحب ، وهو لون الحياة الواقعة . والآخر واضح جلي ناصع ، وهو لون هذه الحياة التي يحيونها بين الخيالات والأوهام . وانه لفي ذلك واذا غانية حسناء رائعة الحسن ، جميلة بارعة الجمال ، غريبة الزي ، لم ير مثلها قط فيمن رأى من غانيات باريس ، وفاتنات غير باريس من المدن الأوربية التي زارها ، بل لم ير مثلها فيما رأى من الصور

والرسوم التى تنقل للناس ما احتفظته ذاكرة التاريخ القديم والمتوسط والحديث من ملامح الغانيات واشكالهن وأزيائهن ، وكانت تتراءى له من بعيد لا يكاد يراها حتى يفقدها ، ولا يكاد يفكر فيها بعد فقدها حتى تتراءى له من جديد ، فلا يكاد ينظر اليها حتى تستخفى ، ولا يكاد يستأنف التفكير فيها حتى تبدو . وكانت اذا تراءت له ملأت الجو من حوله عبيراً وعرفا لم يحس مثلهما قط فيما أحس من الاعطار المصنوعة ومن الاعطار الطبيعية ، ومن شذى الرياض وعرف الغابات ، وكانت اذا استخفت ذهب معها هذا العبير ، الا بقية ضئيلة تضطرب فى الجو ، كأنها البقية الضئيلة من شعاع الأمل . فكانت نفس الاديب الفرنسى ملرو تتعلق بهذه البقية الضئيلة من العبير ، كما تهيم بهذا الشخص الجميل الرائع الذى كان يبدو ويستخفى فى سرعة كوميض البرق . ولو أن هذا الخيال عرض لرجل مثلك أو مثلى على هذا النحو وهو نائم لأيقظه ، أو عرض له وهو يقظان لناد عنه كل وهم أو خيال ، ولدفعه الى حياة عنيفة متنبهة تشبه الجنون . ولكنه لم يعرض لك ولم يعرض لى ، وانما عرض للأديب الفرنسى ملرو . ولهذا الأديب قوة ساحرة فيما يظهر ، تمكنه من مقاومة الحق الذى يوقظ النائمين ، ومن مقاومة الوهم الذى ينيم الايقاظ ، وتمسكه فى حال بين الحالين ، ومنزلة بين المنزلتين ، فاذا هو نائم كاليقظان ويقظان كالنائم . وقد دعا اليه سحره هذا ، فأعانه السحر على أن يظل على الحدود بين المملكتين : مملكة اليقظة ، ومملكة النوم . مملكة الحقيقة الباطلة التى يضطرب فيها مثلك ومثلى من الناس ، ومملكة الخيال الصادق التى يضطرب فيها الأدباء والشعراء ، وظل فى مكانه يرى هذه الجنية ، ويتنسم عبيرها اذا ظهرت له ، ثم يتعلق بما بقى من نشرها ويهيم بخيالها اذا غابت عنه ، وكأن هذه الجنية كانت تريد أن تعبث بالكاتب الاديب ساعة من نهار أو ساعة من ليل ، وما أكثر ما تعبث الجن بابناء الانسان . ولكن الاديب الفرنسى ملرو ، كان من البراعة والمهارة ، ومن السحر واللباقة ، بحيث استطاع أن يعبث بهذه الجنية الماكرة الماهرة ، وأن يكرهها على أن تبوح له سرها ، وتلقى عنه ما بينها وبينه من الاستار . وأكبر الظن ان الاديب الفرنسى ملرو ، انما تعلم هذا الفن الذى يستغوى به الجن من رياضة بسيطة ، ما أجدر أدباءنا وشعراءنا ان يتكلفوها ويأخذوا انفسهم بها ، وهى رياضة الصيد فى الانهار والغدران . فهذه الرياضة تحتاج الى صبر طويل ، طويل جدا ، والى لباقة ودقة قلما تحتاج اليهما الرياضات الاخرى ، وقد يمكث الصائد على شاطىء الغدير ساعات طوالا جدا ، ينتظر الصيد فيصيبه أولا يصيبه ، ولكنه لا ييأس على اى حال .

ظل الكاتب الاديب ملرو ، فى حاله هذه بين الحالين ، وفى مقامه هذا بين المملكتين ، وظلت الجنية تبدو له فيستقبلها ، وتغيب عنه فيتبعها ، حتى سئمت منه هذا الصبر ، وضاقت منه بهذا الثبات ، واستيأست من ترويعه والعبث به ، فوقفت منه غير بعيد وحدقت فيه تحديقا طويلا ، لو حدقته فى رجل مثلك او مثلى لملأت قلبه رعبا ، ولدفعته الى الجنون دفعا ، ولكن الاديب الفرنسى ملرو ثبت لنظرها الجميل ، وتحديقها الطويل ، مبتسما فى هدوء ، ينظر اليها ولا يقول لها شيئا . واخذت هى تدنو منه وتطيل النظر فيه ، وهو ثابت لا يضطرب ، ومستقر لا يريم ، حتى اذا كانت منه بمكان النجى ، سألته فى لغة غريبة لم يسمع لفظها قط ، ولكنه فهم معناها كما يفهم معانى اللغة الفرنسية حين تلقى اليه . سألته فى هذه اللغة الغريبة ، وفى ابتسام ليس اقل منها غرابة قائلة من تكون ؟ لقد عرضت لكثير مثلك من الناس منذ عشرات القرون ، فروعتهم ترويعا على اختلاف اجيالهم وبيئاتهم ، وتفاوت درجاتهم فى العلم والجهل ، وفى الغفلة والذكاء ، حتى اتخذت ترويع الناس لذة من أهون اللذات ، اذا فرغت مما أنا فيه من أعمال الجد التى تحملنى كثيرا من الألم والعناء . حدثنى من تكون ؟ ولا بأس عليك من أن تجيبنى باللغة الفرنسية فسأفهمها عنك ، كما تفهم أنت عنى الآن هذه اللغة الحميرية ، التى لا يتكلمها أحد من الناس فى هذه الايام ، والتى يجد علماؤكم فى قراءتها وتفسيرها ، واستنباط قواعدها وأصولها . حدثنى من تكون أيها الفتى الذى عجزت عن ترويعه والعبث به ؟ قال الاديب الفرنسى ملرو ، وهو ينظر هادئا مبتسما الى هذه الجنية : بل حدثينى انت من تكونين ؟ فانى لم أعرض لك ، وانما عرضت لى ، وانى لم أحفل بك ، وانما حفلت بى ، وانى لم آذن منك ، وانما دنوت منى ، وانى لم أحاول سحرك بلحظ ولا لفظ ، ولا حركة ولا عبير ، فما ينبغى لك أن تسالينى ، وانما ينبغى لى أن أسالك . ومع ذلك فانى لم أسالك حتى بدأتنى بالسؤال ، ومع ذلك فانى قادر على أن أعفيك من الجواب ، وعلى أن أدعك تمضين فى طريقك ، فما أكثر من يعرض لى من أمثالك ، وما أكثر ما أتحدث اليهن وما يتحدثن الى ، ولئن فاتنى أن أعرفك وأسمع من أنبائك فقد عرفت من قبلك خيالات أخرى ، أستطيع أن أستأنف لقاءها متى شئت ، وأن أقص عليها من انباء الاحياء ، وتقص على من أنباء الاموات . قالت الجنية أو قال الخيال : ما أشد طغيانكم أيها الناس ، انكم لضعاف أشنع الضعف ، ولكن المكر يجعل ضعفكم قوة ، وذلكم عزة ، وجهلكم علما . حدثنى يافتى من تكون ؟ والا فانى قادرة على أن أسومك ، قال بل حدثينى

انت من تكونين ، واستيقنى انك لا تقدرين من الاسادة الى على شيء ، بل انا قادر إن شئت على أن أغلق بينى وبينك الباب ، وأقطع بينى وبينك الاسباب . وأى شيء أيسر من أن أمضى إلى هذه الناحية ، فاذا انا فى مملكة اليقظة التى لا وهم فيها ولا خيال ، والى هذه الناحية فاذا انا فى مملكة النوم العميق التى لا تستطيع الأحلام ان تدنو منها أو تجد اليها سبيلا . قالت فانى اراك على قوتك ذكيا ماهرا ، تحسن الحوار وتعرف كيف تقطع الطـــريق على خصومك ومحاوريك . وما أرى الا انك جنى قد اتخذت شكل الانسان ، وما ارى إلا اننا نستطيع أن نتفق فنعبث بالناس جميعا ، ونكيد لهم جميعا ، ونخدعهم جميعا ساعة من نهار ، او يوما من اسبوع . قال بل أشهرا كاملة من عام كامل ، بل عاما كاملا من اعوام طوال ، فحدثينى من تكونين احدثك من اكون . واعلمى منذ الآن انى لا اكره ترويع الناس والعبث بعقولهم ، فان الرجل الممتاز حقا هو الذى يحسن العبث بعقول معاصريه ، فان استطاع مع ذلك ان يعبث بخيالهم وآمالهم وايديهم وجيوبهم ، فهو الرجل العبقرى حقا . حدثينى من تكونين أحدثك من اكون . فقد يخيل الى ان سيكون لهذه الساعة فى حياة الناس شأن . قالت وهى تبتسم ابتساما عريضا ، وانا ايضا ارى هذا . فهل سمعت شيئا من حديث تلك الملكة التى امتلأت بذكرها كتب القصص والتاريخ ؟ قال اى ملكة تريدين؟ فما اكثر الملكات اللاتى ملأ ذكرهن كتب القصص والادب والتاريخ . قالت فى شىء من الدل ، وهذا العرف الذى يملأ الجو من حولك ، والذى يكاد يذهلك ، لولا انك رجل عمار لا يعرف الذهول اليه سبيلا ، الا يدلك على شيء ؟ قال بلى ! انه يدلنى على انك قد سريت من الشرق ، فهذا العرف لا عهـــد لى بمثله الا فى كتب القصص والتاريخ . ألا تكونين قد اقبلت من بلاد اليمن ، تلك التى تحدث عنها القدماء والمحدثون ؟ . قالت قد عرفتنى ، فانا جنية من أرض اليمن ، أقبلت أعبث ببعض أهل الغرب ، وأبحث الجن اليمانيين عن بعض الفرائس ، فظفرت بك . قال بل وقعت فى يدى . فمن أى بلاد اليمن أقبلت ؟ قالت من تلك المدينة العظيمة التى كانت تملكها تلك الملكة القديمة العظيمة . قال ملكة سبا ؟ قالت هى هى ! : قال وعلام نستطيع أن نتفق ؟ . قالت على أن نعبث بالناس شيئا . ثم نهدى اليهم بعد ذلك ما يعوضهم من هذا العبث أحسن تعويض . ثم اتصل الحديث بينهما وانقطع ، ثم اتصل مرة أخرى وانقطع ، ثم أصبح الناس واذا الاديب الفرنسى ملرو ، يمر بالقاهرة فى طيارة قد أنشئت له ، فيقيم فى القاهرة يوما وبعض يوم ، ثم يغادرها ، ثم تمضى أيام ، ثم يخفق البرق بانه قد استكشف مدينة سبأ فى أقل من تسع ساعات ! . طار من جيبوتى فعبر البحر ، ثم مضى حتى انتهى الى الربع الخالى ، وكانت صاحبة الجنية قد سبقته وضربت له موعدا فى تلك العاصمة الجليلة ، ورسمت له الطريق التى يجب عليه أن يسلكها رسما دقيقا صادقا ، فلما انتهى الى موعده صور من المدينة ما صور ، ثم هبط الى الأرض ، ولكن جنيته صعدت اليه ، ودلته على أجمل المناظر وأجدرها أن يخلب الناس ويسحر البابهم . ثم عاد الى باريس وقد سبقته اليها الانباء . والناس من أمره بين الشك واليقين ، فكتب المقالات ، والقى الاحاديث ، ونشر بعض الصور ، فاما العلماء فانكروا ، وأى شيء أيسر على العلماء من الانكار ؟ وأما غير العلماء فصدقوا ، وأى شيء أيسر على غير العلماء من التصديق ؟

ثم تنتقل الانباء من أوروبا الى أمريكا عابرة اليها المحيط ، فيضطرب العالم الجديد اضطرابا ، واذا البرقيات كلها تخفق ، دهش الناس ، ثم اضطربوا ، ثم صدقوا ، ثم اندفعوا ، فكان العبث بالعقول ، ثم بالخيال ، ثم بالايدى ، ثم بالجيوب . فاذا كان شهر نوفمبر ، فان البعثة ستعبر المحيط ، ثم تعبر البحر ، ثم تعبر البحر أيضا ، ثم تمضى فى الصحراء ، وما أكثر ما فى الصحراء العربية الجنوبية من بقايا المدن القديمة التى عرفها الناس والتى لم يعرفوها ، ومن يدرى ! ! لعل هذه الجنية التى تراءت للأديب الفرنسى ملرو ، أن تبر بالوعد ، وتفى بالعهد ، وتهدى الى العلماء المنكرين وغير العلماء المصدقين ، مدينة قديمة فيها من الآثار ما يعوضهم من هذا العبث الذى يخضعون له فى هذه الايام تعويضا حسنا .

لا ينبغى أن تنكر على الادباء حياتهم هذه التى يمضون فيها مع الخيال والوهم ، ويسمعون فيها لأحاديث الجن والشياطين ، ويتبعون فيها آمالهم وأمانيهم ، فان هذه الحياة لذيذة فى نفسها بالقياس الى الادباء أنفسهم ، وبالقياس الى الناس حين يسمعون انباءها . ثم هى فى كثير من الاحيان خصبة منتجة ، تبدأ بالحلم والوهم والامل ، وتنتهى الى اليقظة والحق واليقين . لا ينبغى أن تنكر على الادباء حياتهم هذه وانما ينبغى أن نتمنى لادبائنا وشعرائنا حياة مثلها يملؤها الوهم والخيال والأمل ، ويملؤها النشاط والجد والعمل والصبر على احتمال الجهد ، وعلى احتمال السخرية والاستهزاء بنوع خاص .

طه حسين